الفـصـل الســابـع

"عريس حنين"

"حنين تحكي لوالدتها عن الدكتور "عمر فؤاد"، وأنـه معجب بهـا، وفـي نفـس التوقيـت تتقـدم "زينـات" -أخـت المرحـوم "حاتم"؛ لكي تخطب "حنين" لابنها "علاء".

"حنين" عائدة من الجامعة، ووجهها ترتسم عليه علامات السعادة والبهجة؛ لأن الدكتور "عمر فؤاد" صرح لها بإعجابه.

* إيه يا حبيبتي دا؟

إيه يا قمر العيلة وأول فرحتها دا؟

بدر منوّر، يا حبيبتي احكي لي، إيه الفرحة اللي أنا شايفاها هاتنطّ من عينيكِ دي؟ طمّنيني يا حبيبتي وفرّحيني، فرّحي قلبي أكتر ماهو فرحان.

_ يا ترى قلب ماما حبيبتي وحياتي فرحان ليه؟ ومن إيه؟

* يا واعية انتِ، أنا اللي بسألك يا دكتورة، وانتِ اللي عليكِ تجاوبي، مش همّا بيعملوا معاكم كدا برضه في الجامعة؟ بيسألوكم وانتوا بتجاوبوا؟ ولّا مش هاتجاوبي؟! وبعدين يبقى فيه كحك؟

_ لأ يا ماما، دا هايبقى فيه كمان بتي فور وشربات وحاجات ومحتاجات، وزينات بس مش زينات عمتي، زينات تانية خالص، زينات كدا بتنوّر بالكهربا.

* فكرتيني بعمتك زينات يا حنين، دي مستقوية القلب، منها لله هي وعمّاتك كلهم.

_ مالهم يا ماما عماتي؟

ومالها عمتي زينات؟

"شكرات تحاول أن تتظاهر باللامبالاة؛ لكي لا تؤثر على نفسيّة حنين بنتها":

* خلينا فيكِ انتِ يا حبيبتي، والفرحة اللي انتِ فيها، كملي لي يلا..

"حنين وهي في غاية الخجل":

_ الله بقى يا ست ماما، هاتكسفيني! بعدين بقى لما يقول لي، ويصرح لي إنه عايز ييجي يقابل حضرتك، علشان يطلب إيدي.

"زينات" -الشقيقة الكبرى لـ "حاتم" زوج "شكرات"-، لديها ابن اسمه "علاء"، شاب عمره ستة وعشرون عامًا، وتكوينه البنياني ضخم، استغل هذا التكوين في الحصول على فرصة عمل أثناء دراسته قبل سفره للخارج، مع الراقصات في الملاهي الليلية، لحمايتهم والدفع عنهم من المخمورين والبلطجية، وهناك تعلم أساليب كثيرة، ولغة أخرى؛ لغة

جديدة عن لغة المجتمع الذي تربى وعاش فيه مع الأهل والأصدقاء، لغة غير مألوفة للتعامل بها مع أناس طبيعيين.

اليوم رجع "علاء" من إيطاليا لزيارة أسرته، وقد سافر هذه الدولة بعدما تخرج من المعهد، وحصل على شهادة فوق متوسطة؛ كونه كان مدللًا، فهو الولد الوحيد على ثلاث بنات، وهو أصغرهم، فأمه جعلته فوق رؤوس الجميع "الإخوة والأهل"، والده وافق على سفره إلى الخارج لكي يكوّن نفسه، لأن هناك في هذه الدولة الأوروبيّة يوجد خاله "ياسر" الذي ترك مصر منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، ولأنه كان ولدًا مدّللًا لم يضع العمل الجاد والشريف غايته، ولكنه اعتمد اعتمادًا كُلِّيًا على خاله، إلى أن غضب خاله من أسلوبه الغير مسئول، ومن كثرة نصائحه له التي لم تأتِ بثمارها، لأنه بدأ يتصاحب على بعض أشخاص هناك، اتضح له فيما بعد، أن هولاء الأفراد يعملون ضمن عصابات المافيا الدولية، ومعروف عنهم أن لديهم نشاطات في كل شيء، وفي كل مكان في العالم، فمن خلال هولاء الأشخاص تعرّف على شخصيات كبيرة في هذا التنظيم العصابي، "علاء" من

خـلال العمـل مـع هـؤلاء الأشـخاص اكتسـب ثـراءًا فاحشًـا، وأصبح في فترة قصيرة جدًا يمتلك ملايين الدولارات؛ لأنـه كان مميزًا في كل شيء، في قوتـه ودهاءه، علاوة على أنـه كان قناصًا ماهرًا، فاستطاع أن يشتري هناك مطاعم كثيرة في مدينة روما رغم صغر سنه.

"بعد تناول العشاء، أمه تقول له:

* واد يا لوئه، عايزين بقا نفرحوا بيك، انت خلاص كدا مش ناقصك أي حاجة، عندك عمارتين هنا، واحدة مسكّنها في أحسن حتة في اسكندرية، والتانية احنا قاعدين فيها أهو، وكل واحدة من أخواتك البنات قاعدة في دور كله لوحدها، وكمان الفيلا الجديدة اللي هاتتجوز فيها فاضل عليها حاجات بسيطة وتتشطب، ما فاضلش غير العروسة يا واد يالوئه، عايزين نشوفوا لك بقى حتة عيّل يتربى في عز أبوه.

_ إيه يا ماما؟ انتِ مستعجلة على إيه؟! لسّه بدري، بعدين بعدين، لما نتمتع بحياتي الأول ونشبع من الدنيا، انتِ عارفة الجواز تقييد للحرية، وأنا ما نحبش حاجة تكتفني، ولا إيه رأيك انت يا حاج؟

الحاج سارية:

~ يا ابني الجواز نص الدين، الجواز سترة برضه.

_ يا بابا أنا بحب أكون حر دايمًا زي العصفور الطليق.

* لما تعرف أنا حاطّالك عيني على مين يا واد هاتوافق على طول، دي مال وجمال وأدب وعلم كمان، دي حلاوتها يا واد مالهاش حل، دي أحلى من الأجانب اللي بتشوفهم هناك في إيطاليا.

_ مين هي دي يا ماما؟

* أنت عارف حنين بنت خالك حاتم -الله يرحمه-؟ حنين اللي كنا كلنا بنقولّها يا حونّة، انت مش فاكرها؟

_ أيوه يا ماما فاكرها، حد ينسى بنت خاله؟ بس أنا فعلًا بقى لي كتير ماشوفتهاش، يمكن من وأنا في ثانوي، من ساعة خالي ما مات -الله يرحمه-، ويمكن من قبل ما أسافر كمان ماشوفتهاش.

* دي هاتتخرج خلاص أهي وهاتبقى دكتورة قد الدنيا.

_ خلاص أشوفها الأول، يمكن ما نرتاحوش لبعض.

* ما ترتاحش إيه؟! باقول لك دي مال وجمال، أنا بكرة الصبح هاخد أخواتك البنات ونروح لأمها نفاتحوها، انت أحق بيها من أي حد تاني.

تقوم وترفع سماعة الهاتف الأرضي، وتبلغ الخبر لكل أخت من أخواتها البنات؛ ليذهبن معها ومع بناتها، ويفاتحن "شكرات" في الموضوع، ولكن كل واحدة منهن كانت تضمر الضيق والضجر من هذا الأمر؛ لأنهن كنّ يتعشمن أن يخطب علاء إحدى بناتهن، ولذلك اعتذرن جميعًا بحجة أنهن منشغلات بامتحانات أولادهن، ولن يمكنهن الذهاب معها، واقترحن عليها تأجيل ذلك الأمر حتى انتهاء الامتحانات، ولكن "زينات" ردت عليهن بأن ابنها "علاء" سيسافر بعد أسبوعين، وتريد التعجيل بالأمر؛ لكي يتسنى للعروسين أن يألفا ويتفقا، رغم أنها بنت خاله، إلا أنهما لم يلتقيا كثيرًا، ولا توجد بينهما لغة حوار، ثم أنهت معهن المكالمة الهاتفية وهي غاضبة منهن جدًا....

* مهما كانت الظروف، كان المفروض يكونوا معايا في موضوع مهم زي دا.

في صباح اليوم التالي، تتوجه "زينات" هي وبناتها لزيارة "شكرات".

"شكرات" تقف في البلكون؛ لكي تطمئنّ على "حنين"، وهي خارجة بالسيارة من جراج العمارة متجهة إلى الجامعة، في نفس التوقيت الذي خرجت فيه "حنين" بالسيارة من الجراج وتوجهت إلى الجامعة، بعدها بثوانٍ جاءت سيارة أجرة ووقفت أمام العمارة، فنزلت منها "زينات" وبناتها، وفي هذه اللحظة "شكرات" كانت تدعو لبنتها بالستر والسلامة، وأن يسعد الله قلبها، ويسعدها مع ابن الحلال الذي اختاره قلبها، وأن يحافظ عليها ويصونها ويضعها في عينيه.

"زينات" تدخل هي وبناتها العمارة متجهات لشقة "شكرات"، وإحدى بناتها تضغط على الجرس، تفتح "شروق" -إبنة خالها- الباب، تستقبلهن "شكرات" بتحفظ شديد؛ لأنه دائمًا حينما تأتي "زينات" لزيارتهم يكون يومًا مليئًا بالمشاحنات، كما أنها ليس بالعادة أن تأتي "زينات" هي وبناتها للزيارة في الصباح الباكر هكذا، ظلت "شكرات" تفكر وتخمن سبب الزيارة، وبينها وبين نفسها:

- أنا كنت لسا هاتصل بماضي علشان أفرّحه، وكمان أطمّن عليه، وأسأله ليه ما اتصلش بيّا لحد دلوقتي كل دا؟
"هذا ما كان يدور في خلدها أثناء استقبالها لهن".

- يا مرحب يا جماعة، نورتونا، إيه الهنا دا كله؟

* دا نورك يا حبيبتي، عاملة إيه؟ ما بتسأليش علينا يعني ولا حتى بتيجوا؟ قلنا احنا نيجوا ونطمّنوا عليكِ وعلى ولاد أخويا حبيبي الغالي -الله يرحمه-، دا أنا اللي مربّياه، أنا أخته الكبيرة يا حبيبتي، ما انتِ عارفة كدا، ربنا يطول عمرك وتعيشي وتتهني انتِ وولادك.

- أبدًا، انتِ عارفة مشاغل الأولاد، وخصوصًا الدكتورة حنين الأيام دي خلاص على وشّ امتحانات البكالوريس، غير بقا باقي الأولاد كل واحد له همه وظروفه يا حبيبتي، وكمان الحاجة عليّة لازم أقوم بكل طلباتها على أكمل وجه، دي بركتنا كلنا، ولا إيه يا أم علاء؟! أخوكِ -الله يرحمه- موصّيني عليها قوي قوي إني أحطّها في عيني كدا.

* صدقيني يا حبيبتي، دا لولا بس المرحوم حاتم كان موصينا كلنا إن أُمّنا ماتسيبش المكان هنا مهما كانت الظروف، كنا

أخدناها عندنا بس دي وصيّة الحبيب الغالي، وانتِ عارفة بقا الوصية.

- الغالي؟!

آآآآآآه عارفة يا أم علاء، دي ياما دعت له ربنا يرحمه ويجعل أراضيه الجنة يارب.

* يقعد لكم يارب في صحتكم، وفي ميزان حسناتكم، احنا دايمًا بندعوا له بالرحمة وبندعوا ربنا يفرّحك بأولادك وبالدكتورة يارب، ربنا يرزقها بابن الحلال اللي يعرف قيمتها، ويتاقلها بالألماظ.

- لسا بدري يا أم علاء، مش لما تخلص الجامعة الأول؟ وتشوف هاتعمل إيه بعد كدا؟

* وفيها إيه لما كله ييجي مع بعضه؟

- هي مش بتفكّر في الارتباط دلوقتي خالص.

* بس لما تعرف مين اللي حاطط عينيه عليها، هاتطير من السعادة.

- مين دا اللي حنين هاتطير من السعادة لما تعرف إنه حاطط عينه عليها يا ترى؟

* علاء ابني ما شاء الله عليه، قيمة وسيما وطول وعرض، وكمان جاهز من مجاميعه، وبيشطب فيلّته ومش ناقصه غير العروسة، امبارح لما رجع من إيطاليا اتكلمت معاه، أنا وباباه وقلنا له عايزين نفرحوا بيك بقى ونشوفوا لك حِتّة عيل تفرح بيه انت ومراتك.

- لكن حنين مش بتفكّر في الارتباط دلوقتي، لسّه وراها الماجستير والدكتوراه، زي ما المرحوم كان عايز يشوفها دكتورة كبيرة قد الدنيا.

* وهو الارتباط هايعطّلها عن الدراسة؟ دا ممكن علاء ياخدها معاه وتدرس الدكتوراه دي في أوروبا.

ابنة "زينات" الكبرى تقول لـ "شكرات":

~ والله يا طنط احنا بنحبوا حنين بنت خالو قوي؛ لأنها زي النسمة كدا، وماحدش بيسمع لها صوت، وعلاء أخويا مش هايخلّي نفسها في حاجة خالص يا طنط.

يا حبيبتي أنا هافاتحها في الموضوع والقرار قرارها، هي هاتعرف مستقبلها كويس الحمد لله؛ لأنها عاقلة وبتعرف توزن الأمور.

زينات:

* طيب فكروا على مهلكم، احنا مش مستعجلين، يلا يا بنات.

"وعلى ملامحها يبدو الغضب بسبب طريقة رد "شكرات" عليها في الكلام"

شكرات:

- طيب ليه مستعجلين؟ ما انتم قاعدين معانا يا جماعة شوية.

"زينات" تغادر منزل "شكرات"، وهي غير راضية تمامًا عن هذه الزيارة؛ لأنها لم تجد اللهفة والحفاوة التي كانت تتوقعها، على أساس أن "علاء" ابنها عريس مناسب لأي بنت؛ لأنه لديه كافة الإمكانيات، وهذا من وجهة نظر والدته.

والدة الدكتور "عمر" -زوجة "فؤاد" صديق "ماضي"- تقول لابنها وهو متوجه للجامعة:

_ حبيبي مش هايفطر؟

بقى لك كام يوم كدا! ملاحظة عليك إنك مش عايز تفطر، وبتبقى دايمًا مستعجل، مش عوايدك يا حبيبي،

قول لي لو فيه حاجة شاغلاك يا دكتور، فيه حاجة في الجامعة؟

احكي لى يا حبيبي وقول لي، أنا ماما حبيبتك.

* بصراحة يا ماما فيه، بس الحاجة اللي شاغلاني دي حاجة تفرّح يا حبيبتي، ماتقلقيش.

_ طمّني ياحبيبى قوام، فرّح قلبي يا عمر.

* فيه بنت يا ماما اسمها حنين، أخلاق إيه! ما تتخيليش يا ماما جمال إيه!

إنسانة متفوّقة في دراستها وفي كل السنين.

_ ياه.. دا انت عارف عنها كل حاجة يا حبيبي!

* طبعًا يا ست الكل، سمعت وعرفت، وكمان ايه.. بتجيب امتياز على طول، مش بعيد تتعيين قريب قوي معيدة في الجامعة، وتكون زميلة.

_ ها؟ من امتى يا حبيبي مشغول بيها؟

* من السنة دي يا ماما، لفتت انتباهي بشكل غريب!

خلّتني حطّيت عيني عليها، بس من بعيد لبعيد؛ لأني ماكنتش بدخل لهم قبل كدا، لكن السنة دي أنا بدرّس للطلبة في القسم اللي هي فيه؛ علشان هي تخصص جراحة عامة، وبقيت أشوفها كتير.

_ وصارحتها يا حبيبي بحقيقة شعورك؟

* أيوة يا ماما، وقعدنا في مكان عام قرّيب من الجامعة، واتكلمنا وعرفت حاجات كتيرة قوي عن حياتها.

_ يارب يا حبيبي تكون من نصيبك، أنا نفسي تتجوز واحدة تكون بتحبها، زي أنا كدا وباباك اتجوزنا عن حب، وكنت زميلة له في الكلية، ربنا يوفقك ويسعد قلبك يا عمر يارب.

* أنا عايزك بقى يا حبيبتي كدا، تمهّدي الموضوع دا عند بابا، أول ما ييجي من القاهرة تكلميه، هو خلاص جاي بكرة ولّا بعده إن شاء الله.

_هو كلمني وقال لي إنه خلص الشغل الكتير اللي كان عنده في الشركة.

* ربنا يخليكِ لينا يا ماما ويخلّي لينا بابا يارب.

_ عقبال أختك لبنى بقى هي كمان، لما تتخرج كدا من الإعلام يا حبيبي، ونفرحوا بيكم وبأولادكم.

ذهب "ماضي" إلى المحل وجلس على مكتبه، كان مترددًا، هل يتصل بـ "شكرات" أم لا؟ كان يساوره شعور غريب ولا

يعرف ماهيته، كان قلبه غير مطمئن؛ فأمسك بالهاتف واتصل برقم "شكرات":

_ ألو...

* مش ممكن، لا لا مش ممكن!

_ هو إيه بس اللي مش ممكن؟

* علشان أنا لسه كنت هاجيب الموبايل وأطلبك.

_ ياااه! احنا الاتنين فكرنا نطلب بعض في نفس الوقت؟ غريبة فعلًا!

* ليه ماتقولش القلوب عند بعضها؟

_ كنتِ هاتكلميني فى ايه؟

* لا قول لي انت الأول، كنت هاتطلبني، قصدي كنت هاتكلمني في ايه؟

" كانت تكلم "ماضي"، وهي تشعر أن سنوات الحب القديمة قد عادت من جديد"

_ يعني بلاش أطمّن عليكي؟! قصدي على حنين؟

* امممممممم على "حنين" بس يا ماضي؟

_ لأ طبعًا، وأم حنين.

* باقول لك إيه! مش هاينفع نتكلم في التليفون، انت لازم تقابلني ضروري.

_ خير يا شكرات؟ قولي لي قلقتيني.

* ليه هو انت ماكنتش ناوي تيجي تشوف حنين مع الجماعة؟ هما جايين يوم الجمعة اللي جاية دي على طول.

_ ينفع نتقابل بكرة في أي مكان عندك في الإسكندرية؟ محتاج أتكلم معاكي في موضوع حنين.

* وأنا نفس الحكاية فعلًا، أنا كنت هاطلبك يا ماضي علشان فيه موضوع خاص برضه بحنين بنتنا، يا أبو العروسة.

_ عروسة؟!

* لما نتقابل بكرة إن شاء الله هاتعرف كل حاجة، قابلني بكرة الساعة خمسة بعد العصر، قبل ما توصل إسكندرية رنّ عليّا أقول لك المكان فين بالظبط اللي هانقعد نتكلم فيه.

_ تمام كدا، مع السلامة، خلى بالك من نفسك.

* وانت كمان خلي بالك من نفسك، سوق على مهلك.

_ لا إله إلا الله.

* محمد رسول الله.

"شكرات" تنهي المكالمة مع "ماضي"، وتسرح، وتفتكر في الحوار الذي دار بينها

وبين "حنين" عندما كانت عائدة من الجامعة، وهي تقول لها:

_ فرّحيني أكتر ما أنا فرحانة.

ساعتها كانت تتمنى "شكرات" أن تقول لها:

*** أنا سمّيتك حنين؛ لأنك انتِ فعلًا حنين الماضي، والماضي اهو رجع، والحنين خلاص صحي.**